أضواء على الفقه المالكيّ بغينيا كوناكري

أ. محمد تفسير بالدي

طالب دكتوراه في الدراسات الإفريقية – مؤسسة دار الحديث الحسنية – جامعة القرويين

لم يُكتب لمذهبٍ فقهيٍّ من القبول والانتشار في غينيا مثل ما كُتب للمذهب المالكي، إذ هو المذهب السائد فيها، والمعتمد عليه في المقرّرات الفقهية في الحلقات الغينية، والمعمول به في الرابطة الإسلامية التابعة للأمانة العامّة للشؤون الدينية، وهو أول مذهب دخل غينيا؛ فسار على نهجه أهلها، ويكفي أنّ أغلب كتابات علماء غينيا دارت حول الفقه المالكي؛ تأليفاً وشرحاً وتعليقاً واختصاراً.

لقد أنجبت غينيا فقهاء أجلاء، ساهموا بشكلٍ كبيرٍ في تنشيط الحركة العلمية بالمنطقة، وعملوا على نشر تعاليم الإسلام على مدى القرون، وأغنوا المكتبة الإسلامية بغينيا، وخلّفوا تراثاً علمياً ضخماً ذاع بين العامّة والخاصّة.

كانوا يجوبون الأقطار للتوسّع في المذهب، والأخذ عن العلماء المشهود لهم بالتضلّع في الفقه المالكي، فدخلوا «مراكش، وفاس، والقيروان، والقاهرة، لدراسة الشريعة الإسلامية والتفقّه فيها، وتكاثرت أعداد أولئك الطلاب في الأزهر خاصّة»[١].

ويعدّ الشيخ صالح الفلاّني (ت ١٢١٨هـ) الرائد في هذا المجال؛ حيث تعدّدت رحلاته من بلاد السودان منذ كان في الثانية عشرة، التقى خلالها أشهر علماء الأقاليم المعروفة بالعلم، حتى وصل المدينة المنوّرة سنة ١١٨٧هـ، وظلّ فيها حتى وفاته[٢].

«أما العائدون منهم؛ فكانوا يحتلون مكانةً رفيعةً بين الناس، فيتولون القضاء والإفتاء، ليقيموا العدل والشريعة، ويعلّموا الناس القرآن والسنّة، فنشأت الكتاتيب في كلّ مكان في السودان الغربي»[٣]، هكذا ضرب المذهب المالكيّ بجذوره في غينيا.

وقد اخترنا الحديث عن الفقه والفقهاء في غينيا؛ للتعريف بالحركة الفقهية في هذه المنطقة من الغرب الإسلامي بإفريقيا، وذلك لبيان جهود علمائها في خدمة المذهب المالكيّ، ولبيان ميادين الحركة الفقهية فيها، وألقاب فقهاء غينيا، ونختم بترجمة بعض فقهاء المنطقة[٤].

(١) الإسلام الفاتح، مؤنس حسن، الزهراء للإعلام العربي، قسم النشر، بدون تاريخ، ص ١٢١.

(٢) الدر الفريد لمفترقات المسانيد، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٣٥٧هـ، ص ١٢٠.

(٣) الإسلام الفاتح، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٤) لا يسعنا هنا إلا التنويه بالجهد الجبّار الذي قام الباحث الغيني الأستاذ محمد صالح جالو الشهير بضيف الله الغيني، فهو أول من كتب فيه، فأفاد وأجاد في بحثه الذي نُشر بمجلة الغنية – عدد مزدوج ٢ و ٣؛ حيث تحدّث عن أسباب انتشار المذهب المالكي في غينيا، وذكر المناهج التعليمية المعتمدة في الحلقات الغينية، وترجم لبعض فقهاء غينيا.

أولاً: ميادين الحركة الفقهية في غينيا كوناكري:

أقبل علماء غينيا على المذهب المالكيّ يتزوّدون من معارفه، فتعلّموه وعلّموه، ونشروه وتقيّدوا به، وأقاموا على أُسسه ومبادئه دولتهم[٥]، ومارسوا حياتهم العلميّة والعمليّة في ميادين عدة مستظلّين به.

ومن الميادين التي نشط فيها فقهاء المذهب المالكي في غينيا؛ نذكر ما يأتي:

١ – ميدان التعليم:

ظلّت الحلقات العلمية تؤدّي دَوْرها الأساسيّ في تثقيف المجتمع الغينيّ المسلم على مرّ العصور، ولقيت إقبالاً كبيراً من لدن الشباب الذين كانوا يفدون إليها جماعات للتعلّم، واتخذت أشكالاً متعددة في التلقين والتثقيف، وتنتشر أكبر المراكز العلمية بغينيا في مدن: لابي، ومومبيا، وطوبى[٦]، وكانكان[٧]، وكنديا[٨]، ودينغراي، وغيرها.

٢ – ميدان التأليف:

استطاع علماء غينيا أن يُثروا المكتبة الفقهية بأجود التآليف التي تنوّعت ما بين المنثور

(٥) الفقه والفقهاء في غينيا، محمد صالح جالو الشهير بضيف الله الغيني، مجلة الغنية، عدد مزدوج ٢ و ٣، ربيع الثاني ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص ١١٥، بتصرف.

(٦) تقع هذه المدن في شمال البلاد، وهي مدن علمية أنجبت علماء أجلاء خدموا التراث الإسلاميّ بغينيا.

(٧) العاصمة الثانية للدولة، وفيها عددٌ كبيرٌ من المراكز التعليمية.

(٨) هي عاصمة منطقة غينيا السّاحليّة، برز فيها علماء أجلاء؛ أمثال: الشيخ محمد فاديغا– رحمه الله–.

والمنظوم، وما يزال أغلبها- ويا للأسف!- في حكم المخطوط، ولذلك لم تشتهر المنطقة بمؤلفات علمائها، فقد جُمع معظمها على يد المستعمر الفرنسيّ الذي حلّ بالمنطقة وفوجئ بحركتها العلمية ورجالاتها، فجمع مخطوطاتها قصد دراسة المجتمع الغينيّ المسلم. ولعلّ من بين الأسباب التي أدت إلى عدم انتشار مؤلفات أهل غينيا: احتفاظ بعض الأسر العلمية بالمخطوطات، ورفض عرضها على الباحثين لدراستها، فلا تزال معظم إنتاجات فقهاء المنطقة مخطوطات محفوظة لديهم، تنتظر العناية والدراسة.

ويحتفظ المعهد الأساسيّ لإفريقيا السوداء بالسنغال بكمٍّ عظيم من مخطوطات غينيا، رصدها الدكتور خديم محمد امباكي في مقالته: «مخطوطات المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء»، حيث يقول: «تقع مخطوطات... فوتا جالون في ٥٧ كراسة، ومخطوطات المنطقة الأدبية واللغوية في ٢٢ كراسة، ومخطوطاتها الإثنولوجيا في ١٩ كراسة، ومخطوطاتها الدينية والسحرية في ٧ كراسات، ومخطوطاتها العلمية في ٨ كراسات»[١].

وفي معرض حديثه عن التراث الإسلاميّ بغينيا كوناكري؛ أشار الباحث موسى عمر كوناتي إلى أنّ التراث العلميّ الثمين الذي خلّفه العلماء الغينيون يغفل عن وجوده- ويا للأسف الشديد!- جلّ الباحثين، وبالأحرى لا يكلفون أنفسهم عناء البحث عنه، فضلاً عن التفكير في خدمته؛ مما جعله عرضةً للاضمحلال[٢].

ومن المؤلفات الفقهية المشهورة في غينيا، نذكر:

- معدن السعادة (ط)، و بيان أحكام المواريث (خ): للفقيه جرن محمد سمب مومبيا (ت ١٢٦٨هـ).
- شكر الإله في علم الفرائض (ط)، و اللؤلؤ المكنون: في الفقه (خ): للفقيه جرن سعد دلين (ت ١٢٧٠هـ).
- معدن العلوم والإسلام: للشيخ عمر كابا (ت ١٣٨١هـ).
- تعليم الإخوان بأحكام فروض الأعيان، و الدرة الصافية شرح النبذة الكافية (خ): للفقيه الشيخ الحاج إبراهيم (ت ؟).

وتجدر الإشارة إلى أنّ المؤلفات الفقهية في غينيا وُضع أغلبها باللغة العربية، وجزء منها وُضع باللغات المحلية؛ وكانت اللغة الفلانية الأكثر استخداماً من بينها، مثل: المنظومة الفقهية الفلّانية: «أوغرد ملل» (معدن السعادة) للفقيه جرن سمب مومبيا، تلتها اللغة المادنينكية، مثل المنظومة الفقهية المادينكية: «معدن العلوم الإسلامية» للشيخ عمر كابا.

٣ - ميدان الإفتاء:

من الميادين العلمية التي نشط فيها فقهاء غينيا ميدان الإفتاء، وذلك لإمداد المجتمع الغيني بالأحكام الفقهيّة؛ فيما يحتاج إليه الناس وفيما يستجد من أحوالهم ومسائلهم.

وبالرغم من أنّ المذهب المالكيّ هو مذهب علماء غينيا، فقد كان بعض العلماء يهتم بأن يؤصّل الفتوى بالكتاب والسنّة، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ الفقيه اللبويّ[٣] (ت ١٣٤٥هـ) قاضي قضاة غينيا في زمنه، كان لا يستنبط الفتوى إلا من أدلة الكتاب والسنّة، ويتبعها بأقوال أهل العلم، ومثال ذلك أنه لما كثر استعمال التبغ، وسأله بعض إخوانه عن حكمه، أجابه بأبيات، منها:

(١) مجلة «المغرب الإفريقي»، عدد ١، ٢٠٠٠م، ص ٥٧.

(٢) الإسلام والمسلمون في غينيا.

(٣) ستأتي ترجمته.

جوابُ سؤالٍ دون قطعٍ عن الشمّ
أتاني عن الصنديد محمود ذي العلم
وليس جوابي قاطعاً مصمّما
ولكنه الإخبار بالظنّ في الحكم...
فأقوال أهل العلم فيه كثيرةٌ
وأرجحها التحريم يا صاحب الفَهْم
وما هو إلا مشكلٌ فذووا النهَى
يفرّون منه خشية الوقع في الظلم
وصرح قول المصطفى كلّ مشكل
حرامٌ بمنع الشمّ إن كنت ذا فَهْم
وقال كلوا مما رزقناكم معاً
من طيبات الله في الذكر يا قوم
ومفهومه لا تأكلوا غيرها من الـ
خبيثات غير المستلذات كالشم...
فأفتيك بالتحريم دون تردد
فأت به واستغفر الله من وَهْم
وما حجتي إلا كتابٌ
وسنّةٌ وأقوالُ أصحاب الدراية والعلم[1]

وعلى وجه العموم؛ يعتمد كبار علماء البلد، في المجلس الوطنيّ للفتوى والبحوث العلمية، على المذهب المالكي، في بيان الحكم الفقهي في النوازل الغينية.

٤ - ميدان القضاء:

مارس فقهاء المذهب المالكي في غينيا أعمال القضاء، فتولّوا المناصب فيه، وفرضوا الفقه في محاكمهم وعلى قضاتهم، فقاموا بإصلاح ذات البين، والفصل بين الناس في اختلافاتهم.

ونظراً لمكانة العلماء في الحياة العامّة، وسمعتهم الطيبة في الحياة الاجتماعية، أَوْلتهم السلطات المحلية عنايةً فائقة، وفتحوا لهم آفاقاً

(١) ديوان شعر للشيخ علي اللبوي، الشهير بجرنو علي بوبديم، المطبعة العالمية، القاهرة– جمهورية مصر العربية–، ص ٢٢٢.

أقبل علماء غينيا على المذهب المالكيّ يتزوّدون من معارفه، فتعلّموه وعلّموه، ونشروه وتقيّدوا به، وأقاموا على أُسسه ومبادئه دولتهم

ومناصب للقضاء والولاية، وردّوا الاعتبار للفقه المالكيّ بتنصيب قاضٍ في كلّ بلدٍ يستحقه.

ودفعت اجتهادات الفقهاء المسلمين، التي خلَّفت أحكاماً وأُقضية ومدوّنات، بالأعراف القضائية إلى بلوغ اكتمالها في قواعد فقهية، وإلى الاتجاه نحو المأسسة، وحاز المذهب المالكيّ قصب السبق في الشمال والغرب، وبعض أقطار الشرق من القارة[2].

ومن أشهر قضاة غينيا الذين وصلتنا أخبارهم:

- الشيخ علي اللبوي (ت ١٣٤٥هـ) قاضي قضاة لابي: بعد وفاة ملك لابي ألفا إبراهيم عام ١٢٩٤هـ– الذي كان قد ولاّه على القضاء– ظلّ يمارس مهامه، إلى أن خلف الأمير ألفا يحيى والده ١٣٠٩هـ فأبقاه في منصبه، ووطّد حبل العلاقات الطيبة التي ربطت الشيخ علي بوالده، إذ اتخذه مستشاراً للشؤون الدينية والأحكام التشريعية، وكانت الأقضية التي تُقضى في الأرياف تُعرض على الشيخ للمراجعة والتصديق، وكلّ مَن طلب الاستئناف على قاضٍ في قضيةٍ

(٢) الدين والدولة في إفريقيا: السنغال – المغرب – السودان – نيجيريا: دراسة في العقد الاجتماعي الإفريقي، هارون باه، أطروحة لنيل الدكتوراه في العلوم السياسية، جامعة محمد الخامس – الرباط، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، سلا، السنة الجامعية: ٢٠١٥م، ص ٧٣.

يأتي إليه[١].

ومن الطرائف التي تُذكر للشيخ اللبويّ في ميدان القضاء: ما جرى بين شخصَيْن في إرث؛ إذ أبى المحكوم عليه قبول الحكم، وطلب الاستئناف عند الشيخ اللبويّ، فألغى الحكم بعد أن فتّشه ولاحظ فيه خطأً، ولمّا سمع القاضي الأول بإلغاء حكمه غضب غضباً شديداً، وأتى إلى الملك ألفا يحيى وقدّم احتجاجاته إليه، فطلب ألفا يحيى من الشيخ اللبويّ معاودة الحكم مرّة ثالثة، وكادت القضية تثير فتنة عظيمة، فأمر الملك- بعد تجمّع الجماهير في المسجد- بإحضار الخصمَين لكي يُسمعا بين يدَي الملك نفسه.

فلمّا وصَفَا ما جرى بينهما؛ أعطى الكلام للقاضي الأول؛ فتحدث عن نظريته التي اعتمد عليها في إصدار حكمه، ثم جاء دور الشيخ اللبويّ فتحدث عن نظريته التي اعتمد عليها في إلغاء الحكم، فوجدوا أنّ ما اعتمد عليه القاضي الأول في حكمه منسوخٌ بآية قرآنية، فاعترف بالخطأ، وأقرّ بأنّ الحقّ هو فيما قضاه الشيخ علي اللبوي[٢].

وبهذا حاز الشيخ اللبوي المرتبة الأولى بين علماء فوتا جالون كلها، وحمل لقب «قاضي قضاة غينيا» في عصره، وظلّ يحكم بالحقّ والعدل إلى أن احتلت فرنسا البلاد، ولكنها لمكانة الشيخ الدينية في بلدته تركته في المنصب الذي وجدته فيه، بل عينته قاضيّاً لولاية لابي استناداً إلى قرارٍ صدر عن الحاكم العامّ في ١٥ نوفمبر ١٩١٢م، كان ينصّ على تعيين عالم محليّ في كلّ ولاية لرياسة مجلس القضاء الأول، في حين يرأس مجلس القضاء الثاني حاكمٌ فرنسي. وظلّ الشيخ اللبويّ يؤدّي هذه المهام حتى عام ١٩١٤م، وهو العام الذي استقال فيه[٣].

ثانياً: ألقاب العلماء في غينيا:

كان لفقهاء غينيا دورٌ بارزٌ في الحياة الاجتماعية، من خلال نزع فتيل الكثير من الخلافات الداخلية بين القبائل، وإدارة المشاريع الزراعية، كما أنهم باشروا وظائف عالية، تمثلت في الدبلوماسية الدينية، وحظوا بمكانة رفيعةٍ وإجلالٍ كبيرٍ داخل المجتمع، وأصبحت كلمتهم مسموعة لدى العامّة والخاصّة، حتى لُقّبوا بألقابٍ تميزّهم عن الآخرين.

ومن الألقاب التي أُطلقت على علماء غينيا، نذكر ما يأتي:

١ - جرن: ومعناه العالم الربّاني، وقيل: الجيم: بمعنى: تعلَّم وأتقَن، والراء: (رن): بمعنى «اتق الله في السرّ والعلن»، والنون: (ن): علّم الناس وانفعهم وأرشدهم. ولا يوصف به العالم إلا إذا تضلّع في كلّ الفنون، وأتقن جميع المتون المقررة من شتى الفنون، وعندما يصل لهذه المرحلة يُقام له حفلٌ كبيرٌ يجتمع له العلماء والشيوخ، ويُقلنَس بـ «بوتو»[٤] أو ما يشبهها[، فلا يكاد يُرى بعدُ حاسر الرأس؛ لأنه من خوارم المروءة عندهم، وهذه العادة ما زالت بارزة في فوتا جالون[٥].

ويذكر أنّ لقب «جرن» يختص به الفلاّن دون غيرهم من قبائل غينيا، ويتقاسمه مع فلاّن أهل السنغال وموريتانيا.

---

(١) ديوان شعر للشيخ علي اللبوي، مرجع سابق، ص ١٠.

(٢) ديوان شعر للشيخ علي اللبوي، مرجع سابق، ص (١١ – ١٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) بوتو أو Puuto: هي قلنسوة درّية، ينفرد بها فلان فوتا جالون، فهي تطرّز بالإبرة، وتُزخرف بألوان متعددة، فتبدوا على الرأس كالجوهر الدريّ المكنون في أصدافه.

(٥) جالو، محمد صالح، مرجع سابق، ص ١١٩، بتصرف.

ومن الفقهاء الذين حملوا لقب «جرن» بغينيا: الفقيه جرن محمد سمب مومبيا (ت ١٢٦٨هـ)، وجرن سعد دلين (ت ١٢٧٠هـ) مؤسس محضرة دالين الشهيرة، وجرن علي بوبديم الشيخ اللبويّ (ت ١٣٤٥هـ)، وجرن سمب بوريا، وجرن جاو، وجرن إبراهيم، وجرن دييج تمب، وجرن علي الكلوي[١].

٢ – ألمام: ومعناه العالم المتضلّع، ويُطلق على العلماء الذين تميّزوا بعلمهم وزعامتهم الدينية في الوقت نفسه، وهو مشترك بين أهل غينيا والدول المجاورة لها، كما في ماسينا وفوتا تورو، حيث يُطلق لفظ الإمام على حكّام ماسينا، وأُطلق على الحاج عمر تال بفوتا تورو[٢]؛ بوصفه عالماً وزعيماً دينيّاً في الوقت نفسه.

ومن العلماء الذين حملوا لقب «ألمام» بغينيا: الفقيه ألمام عاقب باري (ت ١٣٨٩هـ)، وألمام إبراهيم سوري دار (ت ١٣٩٨هـ).

٣ – فودي: ومعناه «الفقيه»، وممن حمل لقب «فودي» بغينيا: الفقيه الشيخ سيدي كانتي ابن الشيخ عثمان كانتي في كانكان، صاحب نظم كتاب (التوحيد) المعروف باسم: (ستة وستون)، حول الواجب والمستحيل والجائز من صفات الله مع أركان الإيمان[٣]. وفودي سلمان كانتي مخترع أبجديات «انكو»؛ إحدى اللّغات الإفريقيّة المشهورة بخصائصها الفنيّة والأدبيّة.

٤ – ألفا: من «الفاهم»، ومعناه: العالم الحكيم عند الفلاّن، ولعلّ أصله من أرفا أو أرفان Arfa, Arfan، الذي يُطلق عند المانديغ بمعنى: أمير الأمراء chef prince ، وبهذا يكون معنى «ألفا»: «أمير العلماء، أو العلوم»[٤]، ويرى الدكتور عبدالرحمن ميغا أنّ مصطلح «ألفا والفع» معروفٌ عند الفلاّنيين والصنغاويين خاصّة؛ لاستعمالهم له أكثر[٥].

ومهما يكن من أمر؛ فإنّ مصطلح «ألفا» متداولٌ في غينيا، ويقابله «جرن»، وهو أقلّ درجة من «ألمام»، وتُقام لكلّ مَن حمله حفلة تكريمية، فتوضع له البردة التي تميّزه عن العوام.

ومن العلماء الذين حملوا لقب «ألفا» في غينيا: الفقيه ألفا محمد من لب سل، وألفا أحمد شيخ البلاد، وألفا موسى من كيبال الذي كان رئيساً في قطره.

٥ – الشيخ: يُستعمل هذا المصطلح في غينيا للدلالة على أعلى مرتبة في العلم، ويُطلق على العلماء في الغالب الأعمّ.

ومن العلماء الذين حملوا هذا اللقب في المنطقة: الشيخ الحاج إبراهيم ابن الشيخ محمد التسليمي، والشيخ إبراهيم بن نوح، إمام فوت العادل النصوح، والشيخ صالح كين،.. والشيخ محمد من فكونمبا، والشيخ عمر الداري، والشيخ إبراهيم سوري[٦].

٦ – «مودي» أو «مودبو»: وهذا اللقب

---

(١) ورد ذكرهم ضمن أسماء بعض الأشياخ الذين اشتهروا بالعلم والولاية في فوتا جالو. ينظر: ديوان بنات أفكاري، مرجع سابق، ص ٤٨ وما بعدها.

(٢) حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، د. أحمد، مهدي رزق الله، ص ٥١٧ وما بعدها، بتصرف.

(٣) الشعر العربي بالغرب الإفريقي خلال القرن العشرين المسيحي، عمران كبا، رسالة علمية مقدمة لنيل الدكتوراه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا – ٢٠٠٧م، ص ٢٦٤، بتصرف.

(٤) Marty, Editions Ernest Leroux. Paris. 1921 L›Islam en Guinée : Fouta-Djallon : Paul

(٥) الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن ٨ إلى القرن ١٣ الهجري، تأليف: د. ميغا عبد الرحمن، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ٢٠٣.

(٦) وهذا الأخير من أبرز مَن ساهموا في نشر الإسلام بغينيا في أوائل القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. ينظر: الدعوة إلى الإسلام: شارل توماس أرنولد، ص ٢٩١.

يُستعمل خاصّة عند الفلان لقباً علميّاً، فإذا أُطلق ينصرف مباشرة إلى شخصية علمية، ولعله مأخوذ من «المؤدّب» على اعتبار أنّ الفقيه كان يؤدي دور المربّي إلى جانب التلقين.

لكن مع مرور الأيام؛ فقَدَ مدلوله الحقيقي، حيث أصبح يُطلق أحياناً على شخصٍ وليس لقباً، ولعلّ هذا الأمر يرجع إلى تبرّك الناس باللقب ليكون المولود الذي سمّي به عالماً[1]، واشتهر اللقب في فوت ماسينا بمالي أكثر من غينيا.

٧ – «كرموكو»: «كرامو» في لغة الماندينكو يعني: «المعلّم، أو المعلّم الكبير» وعند الفلاّن «كرموكو» يعني المعلّم، و «كَرَمُوْبَا» تسمية المعلّم الأكبر عند قبائل صوصو وجاكانكي.

ومن العلماء الذين حملوا هذا اللقب في غينيا: الفقيه كرمو طلبي (ت ١٣٨١هـ)، والفقيه كرمو قطب الطوبوي، والفقيه كرموكو سنكون طوبى، وكرموكو ألفا مو لابي.

ثالثاً: بعض مشاهير الفقه المالكيّ بغينيا:

وردت تراجم علماء غينيا ضمن أعمال بعض المستشرقين من أمثال: بول مارتي وغيره، كما ورد ذكرهم ضمن كتابات المحقّق الغينيّ المرحوم ألفا إبراهيم صو، ولكن بإشاراتٍ خفيفة، غفلت عن إيراد مجموعة من القضايا المتعلقة بمؤلفاتهم ومساهماتهم في الحركة الفقهية بغينيا بين التعليم والتأليف، وممارسة القضاء والإفتاء.

لذا؛ ارتأينا تخصيص هذا المبحث لترجمة بعض الفقهاء المشهورين الذين وضعوا بصماتٍ في الفقه المالكي، أو مارسوا الفقه في القضاء والإفتاء في عصرهم، وذلك بالترتيب الزمني– حسب الوفيات–.

(١) الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي، مرجع سابق، ص ٢١٤.

١ – الفقيه الشيخ صالح الفلاّني (ت ١٢١٨هـ):

هو: صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العمري المعروف بالفلّاني: عالم بالحديث مجتهد، من فقهاء المالكية. نسبته إلى «فلاّن» أو «فلاّنة» من قبائل السودان، نزلها بعض أسلافه، وولد صالح ونشأ بها، وكان مولده سنة ١١٦٦هـ في موطن قبيلته، تحديداً بمنطقة فوت جالو.

أخذ الشيخ صالح عن كبار علماء عصره في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، وتنقّل في طلب العلم، فقرأ ببلدة القبلة (بشنقيط) ومراكش وتونس ومصر، ثم استقر في المدينة إلى أن توفي الخميس ٥ جمادى الآخرة ١٢١٨هـ، ودفن بالبقيع بالمدينة المنوّرة عن ٥٢ عاماً[2].

من مؤلفاته: قطف الثمر، في أسانيد المصنفات في الفنون والأثر (ط)، إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار[3] (ط)، الثمر اليانع (خ)؛ وهو رسالة في تراجم أشياخه.

٢ – الفقيه جرن محمد سمب مومبيا (ت ١٢٦٨هـ):

هو: جرن محمد سمب بن جرن سعيد بوبو جالو السّيليّ، وأقدم مَن عرف مَن سلالته هو

(٢) الأعلام، للزركلي، (٣ / ١٩٥)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل البغدادي، (١ / ٤٢٤).

(٣) عنوانه الكامل: «إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، وتحذيرهم عن الابتداع الشائع في القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار»، وهو بلا شك أهم مصنفاته؛ إذ أوضح فيه المراد بالتقليد في كلام العلماء، وتحدث عن عمل الفقهاء المقلدين إذا وقفوا على ضعف مذهب إمامهم، ونصّ على ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل، وما لأصحابه، من الحضّ على العمل بالكتاب المنزل والسنّة، وسجل الشيخ صالح خمسة وخمسين سؤالاً في هذا الكتاب إلى كلّ مقلّد يظهر منها حنقه ممن يحرم نفسه نعمة التفكر في دين الله، والأخذ بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنّة وهما أصل الدين، وغيرها من الموضوعات المهمة التي يحسن أن يطلع عليها فقهاء العصر الحالي، (ينظر: المرجع السابق، ص ٣٥ وما بعدها).

عبد الله سـواري الذي عاش في فترة كرموك ألفـا مـو لابـي Karamoko Alpha mo Labe (كرمـوك ألفا اللبوي). وجـدّه عبد الله سـواري، تعلّم القـرآن على يد السـرانكوليّ المشهور بـ كرموكو سواري (لقباً)، فسمّي بذلك عبدالله صاحب سـواري، حتـى اختفت كلمة «صاحب» فبقي عبدالله سـواري، وعُرف بذلك الاسم. وهذا يفيدنا أنّ حمل جده عبدالله لقب «سواري» لم يكن انتساباً له بقدر ما كان تكريماً وتشـريفاً له، فهو من عائلة جالـو. وأمه: نين حبيبة تورو، وُلد في مومبيا حوالي ١١٧٨هـ.

تلقّـى تعليمه الأولى في المـدارس العتيقة بمومبيا على يد الشيخ محمد نجمد، ودام عليه حتـى حفظ القرآن، وأخذ عنه فنون الشـريعة والعربية، وختم: الرسـالة، والتحفة، والمقامات الحريرية، ومختصر خليل فـي الفقه المالكي، زاد عليها الكتب الميسّرة، ففسّر القرآن كاملاً، وحمل بذلك لقب «جرن»، وبعده خرج للتحصيل.

كان الشيخ متقناً للعربية، فصيحاً بالفولانية، فاق أقرانه ومعاصريـه، نال منزلةً لدى العلماء والأدباء، اشـتهر في حياته، وأقبل الناس عليه مـن كلّ فجّ عميـق، لم تكن شـهرته في فوت جالو وحدها، بل تعدّاهـا إلى فوت تورو وبلاد الشنقيط، وكان يتمتع بذكاء خارق، وذاكرة قوية، حيث استطاع أن يجمع عدة علوم، ويبرز فيها.

وكان متفـرداً باللطائف العلمية، والمباحث الدقيقة، والاسـتدراكات الفريـدة، والتحقيق البـارع، والاطـلاع المفرط، ألّف فـي العربية والفولانية، غير أنه اشـتهر في النظم الفولاني أكثر، فترك للأمـة تراثاً علميّـاً لا غنى عنه. توفي- رحمه الله- سنة ١٢٦٨هـ.

مـن مؤلفاته: دالية في بيـان فضائل النبي صلى اللـه عليه وسـلم (خ)، لاميـة في بيان أحكام المواريث (خ)، لامية الطلاب (خ)، معدن السـعادة، وهي منظومة فقهية باللغة الفولانية تسمّى: (أوغرد ملل)[1].

٣ - الفقيـه الشيـخ جـرن سعـد دليـن (ت ١٢٧٠هـ):

هو: عبـد الله بـن إبراهيم بـن عبد الله سليمان بن جرن سـواري بن سل جالو الفلاني اللبوي الدلني السيلي. وأمه: السيدة فاطمة بنت شريف محمد عبد الله.

وُلد في قرية دلين (جافنت) سنة ١٢٠١هـ، ونشأ في أسـرة عريقة معروفة بالعلم والهدى والصلاح (أسـرة سـيلنك)، وقـد كان للدين وللتربية الأخلاقية والأدبية دَوْر كبير في تكوين شخصيته.

لله درّ الشيخ الحاج عمر السالمي! حيث يقول :«الشيخ سعد بن إبراهيم الدلني هو الأديب الفصيح، الشـاعر البليغ، عالم فوتا جالو، الذي سجدت له أفكار أهل النباهة من الحكماء، والشـعراء البلغاء، وعجزت الفلانيات أن يلدن مثله»[2].

من مؤلفاتـه: ألّف كثيراً مـن الكتب نظماً ونثراً، منها: شـكر الإله في علم الفرائض (ط)، منيلـة الأماني في الاعتقـاد (خ)، قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر معجزاته

(١) يظهر هذا الديوان قدرته الشعرية وفصاحته في اللغة الفولانية، فقد استوفى روح تأليفه بعد استقراره في منطقته، واعتكافه على التدريس، فكان أول مَن نظم الشعر في غير العربية بغينيا كوناكري أو هو الأشهر على الإطلاق. ومضمون الديوان تجارب كثيرة تزودت بها شخصية الناظم في سنوات طويلة، وتنوعت موضوعاته في: التوحيد والعبادات والوعظ والإرشاد، وقد انتشر الديوان في أوساط العلماء وتناقله طلاب العلم كتابة وقراءة، أبياته ٥٦٦ بيتاً، وقافيته: لامية، طبع من تحقيق: ألفا إبراهيم صو، ينظر:
Le Filon du Bonheur Eternel: Alfâ Ibrâhîm Sow, Collection Classiques africains. Armand Colin. Paris. 1971.

(٢) الشاعر جرن سعد دلين، محمد صالح جالو، مقال منشور في موقع www.ar.misiide.net

(خ)، فاتحة التصريف في علم التصريف[١]، نظم شذور الذهب لابن هشـــام (خ)، اللؤلؤ المكنون في الفقه (خ)، المنفعة العامّة للأمة الإسلامية والراحة الكاملة للعلمـــاء (خ)[٢]، نجم النهى في علم العروض والقوافي (خ)، نصيحة النساء (خ)، وغيرها، بالإضافة إلى ما لم نقف عليه.

وفاته: الأربعاء بعد العشاء، ٤ جمادى الأولى عام ١٢٧٠هـ، رزئت الأمّة بفقد شـــيخ الشـــيوخ، خادم الإسلام، الشيخ سعد دلين، بعمر يناهز تسع وستين (٦٩) عاماً، ودفن في مسقط رأسه بدلين.

٤ - الفقيه الشيخ علي اللبويّ (ت ١٣٤٥هـ):

هو: الشيخ المشهور بـ «جرنو علي بوبديم»، وُلد حوالي ١٢٦٥هـ، فـــي قرية دنقول جرنويا، مـــن ضواحي مدينة لابي؛ عاصمـــة إقليم فوتا جالو التابع لجمهورية غينيا.

حفـــظ القرآن الكريم في صغـــره عند أبيه الشيخ جرن محمد، ثم تعلّم علوم الدين الإسلامي واللغة العربية عند الشـــيوخ المتخصّصين، إلى أن بلغ مستوى الدراســـات العليا، وكان متفوقاً دائمـــاً حتـــى ذاع صيته في أقطـــار فوتا جالو كافّة، وحـــاز المرتبة الأولى بيـــن علمائها في جميع النواحـــي، علميّاً ودينيّـــاً وثقافيّاً وإداريّاً واجتماعيّاً، كما عُرف هذا الشيخ- رحمه الله- طول حياته بالصلاح والعبادة، إلى أن توفاه الله عام ١٣٤٥هـ، عن عمر يناهز الثمانين عاماً[٣].

تقلد مناصـــب دينية وسياســـية مهمّة، حيث عيّنه ملك لابي ألفا إبراهيم مستشاراً في الشؤون الدينية والأحكام الشرعية، كما عُيّن بعد ذلك والياً على مملكة لابي، ثم «قاضي القضاة» لولاية لابي.

٥ - الفقيه الشّيخ عمر كابا، المعروف بـ «كرامو طلبي» (ت ١٣٨١هـ):

هو: الخطيب البارع، الفقيه الفرضيّ: عمر بن محمد جاتا كابا، وُلد الشّـــيخ بمدينة كانكان، كان أبوه عالماً مشهوراً؛ هو الشّيخ: محمد جاتي كابا، وأمّه العفيفة هي السّيدة: جاكا غبي محمود كابا.

درس الشّـــيخ كرامو طلبي على يد أبيه في المرحلـــة الأوّلى من تعليمه، ولمّا أحسّ أبوه بأنّ عقله قد بدأ ينفتح على المعارف العلميّة أرسله طالباً إلى أستاذه الأوّل بعد أبيه، فضيلة الشّيخ أمادو كمارا في حي كمارالا بمدينة كانكان.

ولمّا تشـــبّع الشّـــيخ على يد معلّمـــه من العلوم المتعلّقة بالقرآن الكريم والحديث النّبوي والعقيدة، عزم الرّحلة متوجهاً إلى تلقاء المنطقة الفوتاجالونيّة بغينيا السّفلى، بحثاً عن فنّ العروض والقوافي الّذي كان ينقصه وقت تحصيله عند أســـتاذه، ولمّا وصل هناك تتلمذ على أيدي علمائها، حتى عرف أسراره وأتقنه ممارسة وتدريباً، ومن هناك توجه إلى ضواحي منطقة كونيا لتعلّم فن النّحو والصّرف والبلاغة، ثمّ تتلمذ أيضاً على علمائها حتى صار لسانه مستقيماً في اللّغة العربيّة التي أتقن نطقها جيداً، وبعد عودته إلى مدينة كانكان أنشـــأ فيها المركز العلمي، وتولى زمام التّدريس فيه، ثمّ تتلمذ على يديه عددٌ كبيرٌ من المتعلّمين، وتوفي سنة ١٣٨١هـ.

مؤلفاته: ألّـــف منظومة بلغة «انكو» اقتداءً بالشيخ محمد سمب موبيا في العلوم الإسلامية، تضمّنت الأحـــكام الفقهية، وهي: (معدن العلوم والإسلام)، وتحتوي على ٣٣٢ بيتاً[٤].

(١) شرحه الباحث محمد صالح جالو الشهير بضيف الله الغيني، وأسماه: "فتح اللطيف بشرح فاتحة التصريف"، (غير منشور).

(٢) الكتاب سؤال وجواب، بين الحاج عمر تال والشيخ سعد دلين في المسائل الفقهية والآداب، وهو في أربعة أجزاء، في كلّ جزء مائة مسألة، (غير مطبوع).

(٣) ديـوان شعر للشيخ علي اللبوي، مرجع سابق، ص ٦ وما بعدها، بتصرف.

(٤) الحياة الأدبية في غينيا من أوائل القرن ١٩ إلى أواخر القرن ٢٠ الميلاديين، عمران كبا، رسالة الماجستير، قسم

ومما نظمه في العبادة:

نَصَلَلَمُو كَبُلُلَجِي فُكَلَيْلَى نَدْبُ
صَلِتِيْتِيلاَ كُبَدَ وُكَ فُمَدَتُهُ

ترجمة المعنى: القبض في الصّلاة والإنزال جائز، لا يبطل القبض الصّلاة والإنزال، فلا يمكن لأحدٍ من المسلمين أن يكفّر الآخر لأجل قبضه اليد أو إنزالها في الصّلاة[1].

٦ - الفقيه الشيخ الحاج إبراهيم ابن الشيخ محمد التسليمي (ت ؟):

هو: أبو محمد الشيخ الحاج إبراهيم ابن الشيخ محمد التسليمي، له في كلّ فنٍّ من فنون الدراية باعٌ عريض، خفق عليه لواء البراعة في علوم الفصاحة والبلاغة وهو غلام يافع، وكان إليه المنتهى في علم اللغة والتصريف والمعاني والبديع والبيان، وله في الفقه والحديث والفتوى وأصول الدين شأوٌ لا يُلحق بالجريان.

أخذ مبادئ علومه، وهواديّ فهومه، عن أخيه الكبير، وشيخه الشهير، الشيخ محمد المصطفى ابن الشيخ محمد السنوسي- رحمهما الله تعالى-، تعلّم منه كتب البداية ومقدمات الدراسة، ثم انتقل إلى المدرسة الكبرى مدرسة والده الشيخ محمد التسليمي، فأغمسه الشيخ في بحور الفنون العميقة، وسيّره في فيافي علوم الشريعة والحقيقة.

من مؤلفاته: له تآليفُ كثيرةٌ وتصانيفُ شهيرة، منها: وسائل الوصول في خصائص الرسول، نور الظلام في الصلاة والسلام على سيد الأنام، تيسير الشدائد في تربيع تائية الوالد، مفتاح باب المراد في هذه الدنيا ويوم الميعاد، وسيلة العبد اللهيف في نظم أسماء الرب اللطيف، الدرة الصافية شرح النبذة الكافية (ط).

٧ - الفقيه الحاج عبد الرحمن باه (ت ١٤٣٤هـ):

هو: الحاج جرنو عبد الرحمن بن جرنو علي بوبديم (الشيخ اللبوي) بن محمد بن محمد بنو بن عبد الرحمن، وهو أصغر أبنائه الثمانية، وُلد في مدينة لابي عام ١٣٣٥هـ.

تلقّى تعليمه الأولى في مجلس والده المرحوم الشيخ علي اللبوي، وبعد وفاته رحل إلى دار لابي، وهي قرية تبعد من مدينة لابي ١٢ كيلو متراً، ليتعلّم عند أحد طلبة والده يُقال له الشيخ عمر الداري، مكث عنده ثمانية أعوام، تعمّق خلالها في علوم العربية والعلوم الإسلامية، وتعمّق في كتب الفقه المالكي، مثل: جواهر الإكليل شرح مختصر خليل، والدسوقي، وغيرها، وقبلها حفظ القرآن الكريم وفسّره.

شارك عام ١٩٦٤م باسم غينيا في المؤتمر التأسيسيّ للاتحاد الثقافي الإسلامي الذي عُقد في القاهرة بمصر، وفي ١٩٧٢م أسّس المجلس الإسلامي الوطني الغيني، ثم عُيّن أميناً موكّلاً بشؤون الحجّ والأوقاف، وصار قائداً ورئيساً لحجاج غينيا مدة ١٢ سنة، وفي ١٩٨٤م عُيّن وزيراً للشؤون الدينية بغينيا، وكان أول مَن شغل هذا المنصب زمن الرئيس الراحل لنسا كونتي، وعمل إماماً للجامع الكبير «فيصل» بكوناكري، وفي ١٩٧٨م استقال من الوزارة، وعاد لمسقط رأسه لابي، فعكف على التعليم والتأليف، والبحث والارشاد، وتوفي في ١٨ ذي القعدة ١٤٣٤هـ.

من مؤلفاته: حكم تعدد كفارة القتل مع تعدد المقتول، الغزو الفكري، مرض نقص المناعة المكتسبة، وغيرها ■

الدراسات العليا، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٦م، ص (١٢٥ – ١٢٦).

(١) المرجع السابق، ص ١٣٠.